القيامة في واقع شرق أوسطيّ[1]

د. ق. أندريه زكي

رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر

تحرير القسّ عيد صلاح

مقدمة: القيامة في زمن التحديات

يا إخوتي وأخواتي، المسيح قام! حقًّا قام! لكن، وبينما نُعلن هذه التحية القديمة المملوءة بالرجاء والنصرة، لا بد أن نعترف بأن منطقة الشرق الأوسط تمتلئ بالتحديات والصراعات المؤلمة. وهنا يبرز التساؤل الأهم: كيف نحتفل بالقيامة وسط التحديات؟ وما هو الواقع الذي يتحدانا اليوم؟ نحتفل هذا العام بعيد القيامة وسط أزمات متلاحقة:

في غزة: الأحياء تحوّلت إلى أنقاض، والعائلات تعيش وسط الدمار، وقد خلّفت الحرب عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى.

في سوريا: ملايين يعيشون في خيام أو بيوت مهدَّمة بلا كهرباء أو مياه.

في لبنان: أزمة مالية خانقة، وغلاء أسعار، وهجرة شبابية جماعية.

في العراق: مجتمعات ما زالت تحاول التعافي من دمار العنف.

اللاجئون: ملايين يعيشون في الخيام، يعتمدون على المعونات، ويحتفلون بالعيد بعيدًا عن أوطانهم.

هذه ليست مجرد إحصاءات؛ بل قصص أناس نعرفهم: جيراننا وأقاربنا.

ورغم كل ذلك، نرفع الشكر لله من أجل بلادنا، مصر، ومن أجل سلامها واستقرارها رغم التحديات الداخلية والخارجية. فستظل مصر بلد الأمان والتماسك.

القيامة: دعوة إلى التغيير

دعونا نعود إلى كلمة الله في رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس (5: 17): "إذًا إن كان أحد في المسيح، فهو خليقة جديدة: الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا." هذه الآية تُلخّص جوهر رسالة القيامة: لأن يسوع قد قام من بين الأموات، فإن كل من هو فيه يُصبح إنسانًا جديدًا.

---

[1] الكلمة التي ألقاها الدكتور القس أندريه زكي في الاحتفال الرسمي لطائفة الإنجيلية في مصر يوم 19 أبريل 2020م، بالكنيسة الإنجيلية بمصر الجديدة.

القيامة ليست حدثًا تاريخيًّا فقط، بل عمل مستمرّ في الحياة اليومية. أن "تعيش القيامة" يعني أن حياتك وهويتك ومستقبلك قد تغيّروا جذريًّا. التغيير الذي تمنحه القيامة ليس رمزيًّا، بل حقيقي يشمل النفس، والعلاقات، والاتجاه، والرجاء.

كنيسة كورنثوس والتحديات

السياق الخارجي

مدينة كورنثوس كانت غنيّة ظاهريًّا، لكنها منقسمة داخليًّا، مليئة بالفساد والانحلال، وتُمجّد القوة وتحتقر الضعفاء.

السياق الداخلي

الكنيسة نفسها كانت تصارع الانقسامات، وتواجه الشكوك في القيادة، والتحديات من كل جانب. ورغم كل ذلك، يكتب بولس: "أنتم لستم ما كنتم عليه... أنتم خليقة جديدة."

رسالة في وسط الألم

قوة كلمات بولس تنبع من أنها كُتبت وسط الألم، لا من قصر مريح. كتبها وهو مرفوض ومُضطهد، لكنه آمن من كل قلبه أن قيامة المسيح غيّرت كل شيء. وهكذا يتحدى واقع كورنثوس واقعنا في الشرق الأوسط اليوم، حيث نواجه التحديات الاقتصادية، والصراعات، والقلق، والإقصاء. لكن تبقى القيامة تعلن: "في المسيح نحن خليقة جديدة."

هذا هو سرُّ القيامة، الله لا ينتظر تحسُّن الظروف ليُجري التغيير. بل يُقيم الحياة من الموت، ويخلق نورًا في قلب الظلام، وينبت رجاءً في الأرض اليابسة.

كيف نعيش كخليقة جديدة؟

1- **ترك الحياة القديمة:** "الأشياء العتيقة قد مضت." يشمل ذلك الخطيئة، لكن أيضًا المرارة، والخوف، واليأس. كما ترك المسيح الأكفان في القبر، نحن مدعوون لترك أنماط فكرية قديمة مصدرها الألم.
2- **الهوية الروحية الجديدة:** هذه الهوية ليست شعارًا، بل مصدر كرامة وثبات، ودافع لخدمة الآخرين.
3- **جماعة لها رسالة:** نحن سفراء عن المسيح، نحمل رسالة المصالحة. كل عمل محبة، وكل غفران، وكل خدمة للآخرين، هو مشاركة في تجديد العالم.

4- **جماعة لها رجاء:** رجاء القيامة ليس تفاؤلًا ساذجًا، بل إيمان بأن الله قادر أن يقيم الحياة من الموت. الموت ليس له الكلمة الأخيرة. القيامة لا تُنكر الألم، بل تعلن أن الله يعمل رغم الألم، وأن فجرًا جديدًا آتٍ.

خاتمة: الرجاء في زمن الألم

أحبائي، هذه هي رسالة عيد القيامة لنا في منطقة الشرق الأوسط: في المسيح، نحن خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. والخوف والانكسار واليأس لا يملكون السيادة. هوذا، الكل قد صار جديدًا. آمين.

وفي هذا السياق أود أن أشير على مفهوم القيامة من منظور وواقع شرق أوسطي في القضايا التالية: القيامة وصناعة السلام، القيامة ومفهوم العدالة، هويتنا الروحية الجديدة في قيامة المسيح. كيف تغير القيامة قلب الإنسان، القيامة انتصار على التمركز حول الذات.

القيامة وصناعة السلام[2]:

في صباح يوم الأحد كانت قيامة المسيح إعلانًا جديدًا عن رؤية الله تجاه البشر: الحياة، لا الموت. الرجاء، لا اليأس. المصالحة، لا القطيعة. وفي عالمنا المعاصر، الذي يئنُّ تحت وطأة الحروب، الصراعات، الانقسامات الدينيّة والفكريّة والسياسيّة، يحتاج العالم لصانعي السلام.

نشهد في عصرنا الراهن تزايد الحواجز بين البشر، بين الدول وبعضها، وفي داخل المجتمع الواحد وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة؛ فالخلافات لا تهدأ، وتُبنَى جدران من الكراهية والخوف، وصراعات تزدري حياة الإنسان وحقه في العيش آمنًا وسالمًا. وسط هذا المشهد، تطمئننا القيامة بالأمل في تجديد كل شيء، بأن الكراهية لا تنتصر في النهاية.

في العصر الذي عاش فيه المسيح كان الرومان يسيطرون على كل العالم القديم. وساد في العالَم نوع من السلام منذ بداية عهد أغسطس قيصر، حتى إن بعض النقوش الأثرية تصفه بأنه الزعيم الذي أرسلَتْه العناية الإلهيّة. إذ وضع حدًّا للحرب وأسَّس السلام. وقد بنى هذا السلام على أربعة أُسس: أساس عسكري يتحقّق في ميادين المعركة، ويعتمد على قوة الرومان العسكريّة التي بلا منازع. وأساس اقتصادي حيث تزدهر الفنون والحِرَف، وتتطوّر الزراعة، وتنمو التجارة والتبادلات، وتُبنى المدن الجديدة. وأساس قانوني وثقافي؛ حيث يسود

[2] نشرت في الوطن، الأحد 20 أبريل 2025م، ومتاح على موقعها: https://www.elwatannews.com/

القانون، وتنتشر طريقة الحياة الرومانيّة الحضريّة في كلِّ أنحاء الإمبراطوريّة. وأساس ديني؛ بمحاولة إيجاد ديانة موحدة، وكان أغسطس أوَّل مَنْ دعا نفسه ابن الله.

في كل هذه المحاور يُبنَى السلام الروماني على «غياب الصراع». لكن السيد المسيح، رئيس السلام، قدّم نوعًا آخر ومفهومًا آخر للسلام عندما يقول يسوع لتلاميذه: سلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. فإنّه يحرص على أن يحدِّد: لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. سلام يسوع ينتمي إلى السلام الذي يعنيه الكتاب المقدّس.

أول خطوةٍ نحو السلام الحقيقيّ تبدأ من الداخل؛ فكثيرٌ من الانقسام حولنا نابعٌ من انقسامات داخلية بين ما نؤمن به وما نعيشه، بين ماضٍ لم نتصالح معه وحاضرٍ نحاول أن نحيا فيه. القيامة تعنى أن الإنسان يمكن أن يقوم من ماضيه، فيتحوّل من شخص جريح إلى شخص يُجبر الجراح. والسلام مع الذات هو الأساس لكلِّ سلامٍ آخر. المسيح القائم لم يوبّخ التلاميذ الذين هربوا، بل قال لهم: «سلام لكم». كم نحتاج أن نسمع هذه الكلمات نحن أيضًا، كل يوم!

كثيرون يخلطون بين السلام والمسالمة، بين الغفران والسكوت عن الظلم. لكن قيامة المسيح تعلن أن الله ليس محايدًا أمام الألم والعنف، بل يُقيم المسحوقين، ويرفع المنكسرين، ويعلن أن الكلمة الأخيرة ليست للطغيان بل للحياة، ليست للعنف بل للسلام. والسلام المنشود لا يعنى غياب الحرب فقط، بل حضور العدل، وشفاء القلوب، وتجديد المجتمعات. القيامة نموذج إلهي يفتح الأفق للمصالحة والعيش المشترك، لا تُقصي أحدًا، بل تُرحّب بالجميع. كم من حواجز تُبنى بين البشر تحت مسميات كثيرةٍ، وكم يحتاج عالمنا لمن يكسر الحواجز. نحن مدعوون أن نكون جسرًا، لا حاجزًا. أن نبحث عمّا يوحّد لا ما يفرّق. أن نصنع السلام لا أن نشيع الكراهية.

كثيرون ينتظرون السلام وكأنه سيأتي من الخارج، من جهة حاكمة، أو ظروف مريحة. لكن القيامة تغيّر هذا المنطق؛ تدعونا لنكون نحن صانعي السلام؛ أن نغفر حيث يسود الحقد، وأن نحب حين تشيع الكراهية، أن نمدّ اليد بدلًا من رفع الحاجز. وأن يكون الإنسان مؤمنًا بالقيامة يعنى أن تؤمن بإمكانية تغيير الواقع. أن ترى في عدوك أخًا، وفي الجرح فرصة شفاء، وفي العالم المنقسم حقلًا جديدًا لبناء الرجاء.

نصلي أن تُنير قيامة المسيح دروبنا، فيتحرر العالم من دوائر العنف، والخوف. نصلي لأجل منطقتنا، التي تعاني بعض دولها من نيران العنف والقتل والتخريب، ليسود السلام المبني على العدل والمحبة والحق. نصلي لأجل بلادنا –وهي بحق صانعة للسلام في وسط ساحات الحرب المتعددة والمحيطة بها–أن يحفظها الله ويحفظ قيادتها وسلامها وأمنها وشعبها المحب للسلام.

القيامة ومفهوم العدالة[3]:

في فجر القيامة، لم يكن حجر القبر هو وحده ما تزحزح، بل تزلزلت معه مفاهيم الظلم، فأصبحت نقطة فاصلة في طريق فهم العدالة وتحقيقها. قيامة المسيح هي إعلان إلهي بأن الكلمة الأخيرة ليست للموت، ولا للظلم، ولا للقهر، بل للحياة، والرجاء، والحق.

في تفاصيل أحداث موت المسيح والحكم عليه، والتي وردت في الأناجيل، نرى فيها كم كان حجم الزور والبهتان الذي تعرض له المسيح، إذ حُكم على المسيح زورًا، ووقف أمام محاكمات صورية باطلة. لكن كانت قيامته هي النقطة الفاصلة؛ لأنها كشفت عن الحقيقة الكاملة أن الله لا يصمت أمام الظلم، لأنه هو العدل المطلق.

القيامة لا تقول فقط إن المسيح غلب الموت، بل تعلن أن الحق لا يموت. وكما شهد بطرس الرسول في عظته الأولى أمام آلاف الناس في أورشليم أن السيد المسيح قام «نَاقِضا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ»، هكذا أيضا لا يمكن للباطل أن يُمسك من الحق إلى الأبد، ولا للعدل أن يُقيَّد من الظلم إلى الأبد.

لقد كتبت قيامة المسيح، نهاية مختلفة تمامًا عما كان في ذهن صالبيه ومن تآمروا عليه، لذلك، فهي إعلان للعدالة الإلهية التي قد تتأخر في نظر الإنسان، لكنها لا تُهمل أبدا.

في خلال حياته الأرضية، اتجه السيد المسيح نحو الضعفاء، والمرضى، والمنبوذين، والفقراء. اقترب من المهمشين والمرفوضين والمظلومين من المجتمع، لقد جسّد المسيح العدل قبل أن يتحدث عنه، وأحب الذين لا يحبهم أحد، ورأى من لا يراه أحد، فقيامة المسيح كانت انتصارًا لكل هؤلاء.

لهذا، فالإيمان بقيامة المسيح ليس مجرد إيمان عقائدي، بل هو التزام عملي، الكنيسة التي تحتفل بقيامة المسيح لا يمكنها أن تظل صامتة أمام الظلم، أو محايدة تجاه القهر، أو بعيدة عن آلام الناس، قيامة المسيح تدعو الكنيسة لتكون صوت الحق والعدل في العالم، الذي يرى المظلوم، ويسمع المكلوم، ويتحرك نحو المهمّشين.

---

[3] نشرت في اليوم السابع، الأحد 20 أبريل، ومتاح على موقعها https://www.youm7.com/

أن تؤمن بقيامة المسيح يعنى أن تؤمن بأن العدل ممكن، وأن تقف مع كل من يُسحق تحت وطأة الظلم، وما أكثرهم في عالمنا اليوم! الكنيسة، متى التزمت بروح المسيح القائم، صارت نورًا في وسط الظلمة، وشاهدًا حيًّا على عدالة الله ومحبته للمهمشين والمظلومين.

قام المسيح ليحررنا من عبودية الخوف، ولكي نعيش بقوة روحه، مدعوين، لأن نقف بجانب المظلوم، لا بالكلام فقط، بل بالفعل: في قراراتنا، في اختياراتنا وفي تقديم المحبة والعون لكل من يعاني. إن عدالة القيامة تُعيد بناء الإنسان، وتُطلق فيه قوة الحياة من جديد.

نصلي لأجل سيادة هذه العدالة في أرجاء العالم، ونصلي لأجل بلادنا الحبيبة، أن تظل دائما أرضًا للكرامة والرجاء، تنبض بالمحبة والخير، ويسكنها السلام، وتكون صوتًا حيًّا للعدالة في المنطقة والعالم بأسره. نصلي أن يلهم الله أبناءها وبناتها ليكونوا شهودًا للحق، وصانعين للخير، وبناة لمجتمع تتجسد فيه قيم العدالة والمحبة.

هويتنا الروحية الجديدة في قيامة المسيح[4]:

نتذكر اليوم قيامة السيد المسيح من الأموات، هذه الحقيقة الجوهرية التي يُبنى عليها إيماننا ورجاؤنا. في رسالته إلى أهل كولوسي، يتحدث الرسول بولس عن تأثير قيامة السيد المسيح وعمله الخلاصي على حياتنا وهويتنا الجديدة. وفي حديثه وشرحه لماهية الإيمان المسيحي، يحرص الرسول بولس على الحديث عن تأثير القيامة في حياتنا وهويتنا الروحية الجديدة. فيؤكد لنا في كولوسي 2: 12 أننا "مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، التِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الذي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ".

ويقدم الرسول بولس في الإصحاح الثالث في رسالة كولوسي تطبيقات عملية للتغيير الذي يحققه عمل المسيح الخلاصي في حياة المؤمنين: "فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ، فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ". هذا هو الأساس الذي منه ينبع كل تصرف أخلاقي مسيحي؛ لأن المؤمن بالمسيح لا يعيش لنفسه، بل يسعى إلى التمثل بالمسيح والتشبه به في حياته. ومن يسعى إلى هذه الحياة واختبار قوة التغيير الحقيقي لقيامة المسيح، يسعى ليكون سلوكه وحياته معبرين عن هذه الهوية الروحية الجديدة.

---

[4] نشر في المصري اليوم، 20 أبريل 2025م، ومتاح على موقعها في https://www.almasryalyoum.com

والهُويّة هي ما يُشكّل جوهر الإنسان، ما يُعبّر عن "من نكون" في نظرتنا لأنفسنا وفي تعاملنا مع الآخرين. هي مجموعة من القيم، والمعتقدات، والانتماءات، والتجارب التي تُكوِّن رؤيتنا للحياة. والهُويّة تتشكّل وتتجدّد بتأثير المواقف، والإيمان، والقرارات التي نتخذها في الحياة.

وفي ضوء هذا المفهوم، حين نتحدث عن "الهُويّة الروحية الجديدة" في قيامة المسيح، فنحن لا نتحدث فقط عن تغيير خارجي أو تصرفات أخلاقية، بل عن تغيير جوهري فيمن نكون، في داخلنا، في علاقتنا بالله، وبأنفسنا، وبالآخرين.

لكن ماذا تعنى هذه الهوية الروحية الجديدة في واقعنا العملي؟ هذه الهوية تعنى أولًا أننا مدعوون إلى قيم جديدة. فكما أن المسيح غلب الموت وقام، نحن مدعوون أن نغلب ما يُميتنا من الداخل: الكراهية، الأنانية، الغفران المؤجَّل والظلم. فالقيامة دعوة مستمرة إلى الغفران، إلى إعادة بناء العلاقات، إلى رؤية الآخر كإنسان محبوب من الله، له كرامة وله قيمة.

القيامة والتغيير كيف تغير القيامة قلب الإنسان؟[5]:

ليست القيامة مجرد حدث تاريخي وحقيقة يقينية، وليست مجرد مناسبة دينية تأتى كل عام ونحتفل بها، بل هي حدث يمتد تأثيره إلى الإنسان، إنها دعوة لحياة جديدة وتغيير مستمر. قيامة المسيح تفتح أمامنا باب التغيير الداخلي، الذي يبدأ بتحرير الإنسان من عبودية الماضي، ويستمر بتعميق الرجاء في القلب، ويؤدي في النهاية إلى تجديد الحياة الإنسانية.

القيامة دعوة للانطلاق من جديد:

أولى ثمار القيامة هي دعوة الإنسان للتوبة والانطلاق من جديد. التوبة ليست فقط ندمًا على الخطايا الماضية، بل هي استعداد لبدء حياة جديدة في المسيح. القيامة تُعلن أن الماضي لا يُحدِّد المستقبل. كما أن المسيح نفسه قام من الموت ليمنحنا الحياة، فإنه يدعونا جميعًا أن نخرج من قبورنا الروحية، ونُقام معه. هذه الدعوة لا تقتصر على لحظة معينة، بل هي دعوة مستمرة للإنسان في كل لحظة من حياته.

في الكتاب المقدس، نرى أن القيامة هي فرصة ثانية. مثلما حدث مع بطرس بعد إنكاره للمسيح ثلاث مرات، وعندما عانق المسيح القائم بطرس وقال له: «أتحبني؟» (يوحنا 21: 15). لم يكن السؤال مجرد

استفسار عاطفي، بل دعوة لبطرس للقيام من سقوطه الروحي، والعودة إلى حياة جديدة من الحب والخدمة. القيامة تتيح لكل واحد منا فرصة لترك الماضي وراءه، والبدء من جديد.

القيامة باب للرجاء

في العصر الحالي، يعاني كثيرٌ من الناس من الصراعات النفسية والاكتئاب نتيجة لضغوط الحياة، والفقدان، والشكوك في معنى الوجود، يفقد كثيرون الشعور بالرجاء والأمل. لكن تأتى القيامة لتُعلن أن للرجاء مكانًا، وأن التغيير ممكن حتى في أحلك الظروف. رغم كل الألم الذي يعيشه الإنسان المعاصر، تبقى روح القيامة هي المفتاح للخروج من نفق اليأس، وبابًا للرجاء.

الإنسان المعاصر قد يجد نفسه أحيانًا محاصرًا في دوَّامة من القلق والاكتئاب، ولكن القيامة تعطيه رجاءً متجدّدًا. إنها تذكير أن الموت لا يمكنه أن يكون الكلمة الأخيرة، وأن الله قادر على إخراج الخير من الشر، والنور من الظلمة. القيامة تمنحنا قدرة على النظر للألم بنظرة مختلفة، بحيث يصبح كل صراع أو معاناة فرصة للتغيير والنمو الروحي.

القيامة دعوة لاستمرار التغيير والنمو

القيامة هي بداية، ولكنها ليست نهاية الطريق، كانت القيامة بدايةً لانطلاق رسالة المسيح للعالم أجمع، فغيَّرت رسالته كل ربوع المسكونة. هي دعوة مستمرة للنمو والتغيير. بما أن المسيح قام وأعطانا حياة جديدة، فإننا مدعوون أن نعيش هذه الحياة بشكل مستمر، معتمدين على الروح القدس في كل خطوة. إن اختبار قيامة المسيح يجب أن يتجسد في حياتنا يومًا بعد يوم: في صلواتنا، وفي تصرفاتنا، وفي علاقتنا بالآخرين، وفي قدرتنا على مسامحة أنفسنا والآخرين.

ما أحوج عالمنا لروح القيامة، فلقد سيطرت روح الشر والقتل والعنف، وعلا صوت الحروب والدمار، وشعر الناس بالحزن والخوف في أماكن كثيرة من العالم، وهُدِّمت دول، وخُرِّبت أوطانٌ، وشرِّدت شعوب. يحتاج العالم للغة المصالحة النابعة من معنى موت المسيح وقيامته، وللغة الرجاء النابع عن أن الصورة ليست كما نراها لأن الله قادر على تغييرها تمامًا. نصلي أن يختبر عالمنا الجريح هذه الروح الملهمة فتتغير أحواله.

القيامة انتصار على التمركز حول الذات[6]:

ليست القيامة مجرد حدث تاريخي فاصل في مسيرة البشرية، بل هي معينٌ لا ينضب من الرؤى التي تغيّر الإنسان ومجتمعه؛ فالكتاب المقدس يعرض قصة الصليب والقيامة كتعبير عن تدخل الله في مسار التاريخ، وإعلانه التضامن مع بشرية غارقة في ظلمات الشر، وتجسّد القيامة في جوهرها محبة الله وعدله، وسعيه لتحرير الإنسان من عبودية الخطية والموت. ومن أبرز ما تمنحه القيامة: الحرية من سطوة الشر، وفي مقدمة هذا الشرور: الأنانية وتمركز الإنسان حول ذاته، والتي يمكن وصفها بـ «عبادة الذات».

عبادة الذات

في سفر الخروج 20: 3 نقرأ أولى الوصايا العشر وأهمها: "لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي". وعلى الرغم من أن هذه الوصية جاءت في سياق ثقافي يشهد تعددًا للآلهة، فإنها تحمل معنى أعمق يشمل كل ما يمكن أن يتحوّل إلى صنم أو وثن، حتى وإن لم يكن شيئًا ماديًّا.

أي شيء نتعلق به تعلقًا مفرطًا، حتى وإن بدا إيجابيًّا، قد يتحول إلى نوع من العبودية؛ فالطموح وتحقيق الذات أمران محمودان، لكن حين يطغيان على اهتمام الإنسان بصحته أو بأسرته، يغدو الطموح صنمًا، كذلك فإن محبة الذات صحية وضرورية، إذ تحث على الاهتمام بالنمو الشخصي والعلاقات والراحة النفسية، لكنها قد تنقلب إلى أنانية حينما تفقد توازنها وتتحول إلى عبادة للذات، تجعل الإنسان لا يرى سوى رغباته، مهما كانت التكلفة أو النتائج.

ويعرض لنا الكتاب المقدس كيف أن التمركز حول الذات كان مصدرًا لشرور عظيمة، فقد أظهر رؤساء الكهنة والفريسيون تمركزًا واضحًا حول ذواتهم، جعلهم يفعلون أي شيء لحماية سلطتهم ومكانتهم، حتى لو كان على حساب الحق، شعروا بالتهديد من تعاليم يسوع ومعجزاته، وخصوصًا بعد إقامة لعازر من الموت، فقالوا: "انْظُرُوا! إِنَّكُمْ لاَ تَنْفَعُونَ شَيْئًا! هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ!" (يوحنا 12: 19). لقد هددهم يسوع ليس فقط من خلال المعجزات، بل أيضًا من خلال كشفه لمظاهر كبريائهم وفسادهم، حين قال عنهم: "فَإِنَّهُمْ يَحْزِمُونَ أَحْمَالًا ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ... وَكُلَّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ" (متى 23: 4-5).

ويظهر التمركز حول الذات أيضًا في شخصية بيلاطس البنطي، الذي رغم إدراكه لبراءة المسيح، خضع للضغوط السياسية والدينية، مفضّلًا الحفاظ على منصبه على أن ينتصر للحق. حين هددوه قائلين: «إِنْ أَطْلَقْتَ هذَا فَلَسْتَ مُحِبًّا لِقَيْصَرَ» (يوحنا 19: 12)، اختار أن يغسل يديه من دم البريء (متى 27:

---

[6] نشر في أخبار اليوم، نشر في أخبار اليوم، 18 أبريل 2025م، متاح على موقعها https://akhbarelyom.com

24). كل هذه النماذج تؤكد أن عبادة الذات والكبرياء هما في قلب الكثير من مظاهر الشر، لكن القيامة جاءت لتنتصر على هذا الشر، وتعلن تحرر الإنسان منه.

العبور إلى الآخر

في المقابل، عندما يعيش الإنسان حياة متزنة، ويضع ذاته في موقعها الصحيح دون أن يجعل منها مركز الكون، يبدأ في الاهتمام بالآخرين، وتنعكس هذه الروح في محبة ورحمة وعدالة وصدق، عندها لا يسعى الإنسان فقط إلى النجاح الشخصي، بل إلى بناء مجتمع أكثر عدلًا ومساواة، ويدرك أن خدمته للناس هي أيضًا خدمة لله. إن هذا التوجه يحوِّل الأنانية إلى تواضع، والرغبة في الامتلاك إلى رغبة في العطاء، وما كان في الماضي شغفًا بالمكاسب الذاتية، يتحول الآن إلى شغف بتحقيق الخير وخدمة الغير.

حين نتأمل في مفهوم المصالحة الإلهية، الذي تجلّى في الصليب والقيامة، نجد أنه مفتاح لتحرير الإنسان ليس فقط من الخوف واليأس، بل من الأنانية والتمركز حول الذات أيضًا، إنه دعوة لتجديد الذهن، كما كتب الرسول بولس: "إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ..." (2كورنثوس 5: 17). ومن هذا التجديد تنبع نظرة جديدة للآخر، وفهم أعمق لاحتياجات الناس ومعاناتهم. إن القيامة، بما تحمله من رجاء في التغيير، تبدأ من داخل كل إنسان، وتفتح الباب أمام عالم أفضل تسوده المحبة والرحمة والعدل. نصلي من أجل بلادنا العزيزة مصر، قيادةً وشعبًا، أن يمنحها الله القوة في مواجهة التحديات، ويجعلها واحة محبة وسلام وتراحم، ويبارك جميع المساعي الهادفة لبنائها وخيرها وازدهارها.